

ثرثرات النساء



في الحلم، كنت أقف على باب حديقة الزهور، أحاول الدخول ولا أستطيع، فوقفت حائرة خجل، أشاهد الزهور المنسقة المرتبة، البحيرة الصغيرة، الشجيرات والخضرة الخلابة.. أملاً رئتي بالهواء المنعش.. يا لسحر الطبيعة وجمالها. ثم صحوت فجأة، وتذكرت أنّ اليوم هو آخر يوم لي في هذه المدينة، قفزت من سريري، فعليّ أن أستغل كل دقيقة من يومي لتصريف أموري، وإنها أعمالي. دقت الساعة تمام السادسة مساءً، وكنت قد انتهيت من إغلاق حقيبتي، توجهت إلى وداع والدي، لم تبك أمي، ولم أبك أنا، قبلتهما، ودعتهما بهدوء ورحلت. طارت الطائرة، وأنا أنظر من نافذتها إلى الأبنية والأرصفة والأزقة، كل شيء بات بارداً في هذه المدينة التي ولدت فيها، وعشتُ فيها طفولتي وصباي، وشهدت كل ذكرياتي.. وكنت أعلم أنني في يوم ما، سأصطدم بالفراغ الذي دفعني إليه دفعاً، فليس سهلاً عليّ أبداً أن أدخل عامي الـ30 بلا رجل أو عائلة أو أحلام.. ناهيك عن التعليقات التي طحنت رأسى طحناً من والدتي ونساء الحي والقريبات. فكان لزاماً عليّ أن أرحل لأبحث عن أحلامي الصائعة، ولأوقف التسرب السريع لعمرى وأيامي بلا فائدة. نجحتُ ورحلتُ، لا أعلم هل لي عودة بعد ذها بي هذا؟ كما لا أعلم ما ينتظرنى في الغربة. بعد ساعتين من الإقلاع حطت الطائرة في المدينة التي تعاقدت مع أحد مستشفياها، كانت الحرارة شديدة وخانقة، وصلت إلى سكني وحجرتي المخصصة، رتبتها وأفرغتُ حقائي. شعور غامض كان يتملknى، خليط من الخوف والقلق والرغبة في إثبات الذات والاستفسارات. فكرتُ في حياتي السابقة وما ينتظرنى.. شعرتُ بالغثيان والاختناق، فكل شيء

من حولي جديد وغريب، لكنني لم أأشأ الاستمرار في هواجسي، فخلدتُ إلى النوم استعداداً لتسليم الوظيفة الجديدة في الغد. - الوظيفة الجديدة: في صباح اليوم التالي، تسلمت وظيفتي الجديدة، وبدأت حياتي الجديدة، وبدأت غربتي. في بداية الأيام كنتُ أشعر بألم في معدتي، فكل شيء جديد عليّ، لكن قوة شخصيتي وخبرتي، ولننقل أيضاً حكمتي وفهمي خفياً يا شخصيات البشر، كل ذلك ساعدني على التأقلم شيئاً فشيئاً على الوضع الجديد. كانت الأيام تسير بهدوء وروتينية كنتُ في حاجة ماسة إليهما، فقد كنت في حاجة إلى مساحة من الفراغ وصفاء الذهن لكي أعيد ترتيب بيتي الداخلي، وألملم شتات نفسي، بعكس الصخب المزعج الذي كنتُ أعيشه سابقاً، والذي كان يُفقدني الهدوء النفسي والقدرة على التفكير. وبعد أشهر قليلة، ازدادت بطء الأيام، ازدادت الروتينية. فالاليوم أصبح مشابهاً للأمس ولا شيء جديداً، أستيقظ صباحاً للعمل ثم ينتظري الفراغ والملل، يا لهذا الملل الذي يُداهم أيامنا بقوة وإن اختفت أشكاله. بدأناً أشك في مدى صحة قراري بالرحيل، لكن في كل الأحوال هذا قراري وعلىّ تحمل مسؤوليته. - حكاوي الموظفات: هالتني الفوضى العارمة التي كان القسم الجديد يرتع فيها، فلا أنظمة واضحة ولا قوانين، فضلاً عن عشرين موظفة يعملن في هذا القسم، وما يتبع ذلك من حكاوي وبلبلات. أمضيت قُرابة الشهرين في استحداث أنظمة وقواعد للعمل قابلة للتطبيق، خاصة أنّه مجتمع نسائي. فالنظام الواضح أقصر طريق إلى الإنتاج الجيد، ونجح بحمد الله. فكما ذكرت لكم، قوة شخصيتي وخبرتي ومعرفتي بخبايا النفوس البشرية، كان لها دور كبير في اجتيازي كثيراً من المواقف. وأصبح قسمي وموظفي من أهم أقسام المستشفى وأكثرها نبضاً وإنجاً، وهذا الأمر أثر علينا جميعاً بطريقة إيجابية. ومضت الأيام بهدوء واستقرار، لا يكسرهما إلا حكاية من إحدى الموظفات، أو موقف مع أحد العملاء، أو مُخاصمة بين الموظفات، أو تجمع وحفل نقيمه لمناسبة مُعينة. -

العاطفة كقطرة عطر تدخل كل أنف رغم أنف من لا يريد: كنت قد تلقيت عدداً من عروض الزواج خلال غربتي، فمن طالب للزواج المسيار، أو طالب لزوجة ثانية، إلى زواج السر والعُرفي.. وغيرها من الأنواع التي يزخر بها عصرنا الحالي. لكنني كنت أرفض. فقد كنت أبحث عن زواج وإستقرار بمواصفات معينة بغض النظر عن أي ظرف أمر به. فكم من ليلة قطعتها بالبكاء والألم من جراء الكلمات الجارحة التي أسمعها دائماً، وكنت أسمعها سابقاً. فالكل مجمع على أنّ المرأة خلقت لخدمة الرجل ليس إلا. والتي ليس لها رجل، وإن حققت النجاحات في أمور الحياة، هي امرأة فاشلة لا داعي لوجودها. وفي أحد المصباحات كُلفت من قبل إدارة المستشفى بمتابعة أمور أحد المرضى من الشخصيات المهمة، بدءاً من دخوله وحتى آخر إجراء لخروجه من المستشفى، وبالفعل أتمت المهمة على خير وجه، وبعد أشهر عديدة من خروج هذا المريض مُعاافى، ومن التعارف المحترم، تم زواجي به في إحتفال بسيط حضره أفراد أسرتي،

الذين أتوا لهذا الغرض، وكذلك أفراد أسرته.. كنتُ سعيدة جدًا بهذا الزواج، على الرغم من كونه عقلانيًا ناضجاً، ومن فرط سعادتي كنت أخشى أن يعقبه ألم. فهذه هي النفس البشرية، تظن أنَّ الفرح لا بدَّ أن ينتهي بحزن وألم، ولكن حالي ابتدأت بحزن وإحباط أعقهما فرح، وَ الحمد. ومضت الأيام باستقرار وهدوء ورضا. سنتين كا ملتين قضيت في الغربة، واليوم وصلتُ إلى مدینتي التي دفعتني دفعًا إلى تركها، بعد أن أجهدت نفسي بكثرة الإحباط والتوتر.. اليوم أنا موظفة تشغله منصباً مرموقاً، متعلمة وحاصلة على درجة الماجستير، زوجة رجل مشهور ومهما، إذن فأنا حديث الساعة في مدینتي. أقامت أمي إستقبالاً لنساء الحي والقريبات، وكانت أستمع إلى ثرثراهنَّ التي لا تنتهي، وأقول: حقاً أينما تُوجد النساء توجد الثرثرة. *كاتبة من الرياض